طرائف عربية

*****

ظهر الطاعون بدمشق ايام خلافة عبد الملك بن مروان فخرج عبد الملك هارباً منه ومعه غلام له فكان يغلبه النوم وهو سائر والفرس تعدل به عن الجادة · فقال لغلامه

— ويلك حدثني بما تحدث به امثالك

فقال الغلام

— بلغني أن ثعلباً صادق اسداً عَلَى ان يجيره من السباع فكان ابداً بين يديه · فظهر في يوم من الايام عقاب في الهواء فخافه الثعلب ووثب عَلَى ظهر الاسد · فانحط عليه العقاب فاختطفه · فقال الثعلب — العهد يا ابا الحارث · فقال له الاسد — انما عاهدتك عَلَى ان احفظك من اهل الارض واما اهل السماء فلا قدرة لي عليهم ·

فقال عبد الملك — لقد وعظتني يا غلام ·

ورجع الى الشام وهو يقول — لا عاصم اليوم من أمر الله

. . . . . .

جلس نحوي الى جانب واعظ . فلحن الواعظ . فقال له النحوي — اخطأت ولحنت .

فقال له الواعظ على البديهة

— ايها المعرب في اقواله ، اللاحن في افعاله ، لاجل ضمة رفعت ، وفتحة نصبت ، وجرة خفضت ، وجزمة جزمت . هلا رفعت يدك الى الله في جميع الحاجات ، ونصبت بين عينيك ذكر الممات ، وخفضت نفسك من اتباع الشهوات ، وجزمتها على ترك المحرمات ! أما علمت انه لا يقال لك يوم الدين — لم لا كنت فصيحاً معرباً ؟ بل يقال لك — لم كنت عاصياً مذنباً . ولو كان الامر كما ذكرت لكان هارون أحق بالخلافة من موسى لانه كان افصح منه لساناً . ولكن الله جعل الرسالة في موسى لثبات جنانه لا لفصاحة لسانه .

. . . . .

لما سئم قيس بن زهير الحروب التي اثارها سباق داحس ترك قومه وخرج على وجهه حتى لحق بقبيلة النمر بن قاسط فقال — يا معاشر النمر أنا قيس بن زهير غريب حرب فانظروا لي امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر . فزوجوه امرأة منهم توافق ما طلب . ثم قال — اني لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقي اني امرؤ غيور ، فخور ، أنف . ولست أفخر حتى أبتلى ، ولا اغار حتى أرى ، ولا آنف حتى أُظلم . فرضوا باخلاقه فاقام فيهم زمناً . ثم اراد التحول عنهم فقال يودعهم — يا معشر النمر اني ارى لكم علي حقاً بمصاهرتي لكم

ومقامي بين أظهركم . واني آمركم بخصال وأنهاكم عن خصال — عليكم بالاناة فيما تدرك الحاجة ، وتسويد من لا تعابون لتسويده ، والوفاء فيه تتمايشون ، واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح ، وخلط العنيف بالالزام . واياكم والرهان فيه ثكلت مالكاً أخي ، والبغي فانه صرع زهيراً ابي وحملاً بن بدر ، والسرف في الدماء فان قتل اهل الجناية اورثني العار . ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق. ثم رحل عنهم . وخرج وصاحب له من بني أسد عليهما المسوح يسيحان في الارض ويتقوتان مما تنبت الى ان دُفعا في ليلة باردة الى اخبية تقوم من العرب وقد اشتد بهما الجوع . فوجدا رائحة الفتار فسعيا يريدانه . فلما قاربا ادركت قيساً شهامة النفس والانفة فرجع وقال لصاحبه — دونك وما تريد فان لي لبثاً على هذه الاجارع اترقب داهية القرون الماضية . فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة باسفل واد فنال من ورقها شيئاً ثم مات .

. . . . .

لما استسلم الخليفة الوليد بن يزيد الاموي الى لهوه وقصفه وأهمل تدبير الملك وعكف على منادمة القيان والمغنين هم قومه بخلعه فقال

خذوا ملككم . لاثبت الله ملككم ثباتاً يساوي ما جبيت عقالا
دعوا لي سلمى مع طلاء وقينة وكأس ألا حسبي بذلك مالا
أبا الملك أرجو ان أخلد فيكم ؟ ألا رب ملك قد أزيل فزالا

. .

ألا ربَّ دار قد تحمل اهلها فاضحت قفاراً والديار خلالا
ولم يلبث بعد ذلك طويلاً حتى قُتل

. . . . .

رأى الشاعر ابو نواس رجلاً سكران فصار يعجب منه ويضحك . فقيل له

— ما يضحكك وانت كل يوم مثله ؟

قال — ما رأيت السكران قط .

فقيل له — وكيف ذلك ؟

فقال — لاني أسكر قبل الناس ولا افيق الا بعدهم . فلا اعلم حال السكارى بعدي

. . . . .

شكا رجل الى الاحنف وجع ضرسه فقال له — لقد أذهب الله نور عيني منذ ثلاثين سنة فما علم أحد بذلك

. . . . .

كان عبدالله بن عمر يزور المقابر ولا يجالس الناس . وكان لا يُرى الا وفي يده كتاب يقرؤه . فسئل عن ذلك فقال — لم أرَ واعظاً أوعظ من قبر ، ولا ممتعاً أمنع من كتاب ، ولا شيء اسلم من الوحدة

. . . . .

قيل لرجل من العرب — مات عدوك

فقال — وددت لو قلتم انه تزوج

. . . . .

لقي الحجاج اعرابياً . فقال له

— ما بيدك ؟ فقال

— عصاي اركزها لصلاتي ، واعدها لعداتي ، واسوق بها دابتي ، واقوى بها عَلَى سفري لحاجتي ، واعتمد عليها في مشيتي ، لتتسع خطوتي ، وأثب بها النهر ، وتومني العثر ، وألقي عليها كسائي فيقيني الحر ، ويدفئني من القر ، والي تدني ما بعد عني ، وهي محمل سفرتي ، وعلاقة أداتي ، اقرع بها الباب ، واطرد بها الكلاب ، وتنوب عن الرمح في الطعان ، وعن السيف في منازلة الاقران ، ورثتها عن ابي وهو ورثها عن جدي وسأورثها لولدي من بعدي ، واهش بها عَلَى غنمي ، ولي فيها مآرب اخرى .

. . . . .

قال الوليد بن يزيد لابن شراعة

— أي المجالس أحب اليك يكون شربنا فيه اليوم ؟ فقال — هل يشرب الا عَلَى وجه السماء . فوالله ما نادم الناس أصبح من وجهها

. . . . . .

بعث الخليفة الى الخليل بن أحمد بالف دينار مع رسول وسأله ان يتجهز بها ويوافيه . فوجده الرسول جالساً يبل خبزاً يابساً في ماء حتى اذا انتقع اكله . فدفع الرسول اليه المال وبلغه الرسالة . فردّ الخليل الالف دينار وقال للرسول

— ما دمت أجد هذين فلا حاجة لي الى الخليفة

. . . . .

نظر بعض الناس الى العتابي وهو يأكل في السوق فقال له — أما تستحي ان تأكل في السوق والناس تراك ؟ فقال له العتابي

أرأيت لو كنت في دار فيها بقر أكنت تستحي بأن تأكل وهي تراك ؟

فقال — لا

فقال له العتابي — اصبر عليّ قليلاً لاريك صدق ما قلته .

فصعد الى دكة حانوت ووعظ فاجتمع عليه الناس فلما رأى كثرة اجتماعهم قال

— ايها الناس قد روينا انه من بلغ لسانه الى رأس انفه لم يدخل النار

فلم يبقَ أحد من القوم الا وأخرج لسانه الى رأس انفه ليرى هل يبلغ انيه ام لا . فلما تفرقوا عنه قال للرجل — ألم اخبرك انهم بقر

. . . . .

كانت امرأة من العرب تأتي بصبية لها كل يوم قبل الصبح فتقف بهم على تل عالٍ وتقول — اي بني ، خذوا صفو هذا النسيم قبل ان تكدرهم الخلائق بانفاسها .

. . . . .

قيل لابي مسلم الخراساني — بم وصلت الى ما وصلت ؟ فقال — ارتديت بالصبر واتزرت بالكتمان . ولم اجعل الصديق عدواً ، ولا العدو صديقاً .

. . . . .

خرج رجل في بعض الحروب ومعه قوس بغير نشاب . فقيل له — اين النشاب ؟

فقال — مع العدو . وهو يجيئنا .

فقالوا — وما تفعل ان لم يجيء ؟

فقال — ان لم يجيء لم تكن الحرب

. . . . .

حدث محمد بن ابراهيم الموصلي قال

— اجتزنا في بعض اسفارنا بحيٍ من العرب فاذا رجل منهم قبيح الوجه في الغاية أحول ذو لحية طويلة بيضاء يضرب زوجة له وهي جارية حسناء كاعب كأنها البدر فقمنا اليه لنمنعه عن ضربها . فقالت — دعوه انه اسدى الله حسنة ، واذنبت انا ذنباً ، فجعلني الله ثوابه ، وجعله عقابي

قال المأمون لبعض جلسائه — انشدني بيتاً لملك يدل عَلَى ان قائله ملك

فانشد بعضهم قول امرىء القيس

أمن أجل اعرابية ... من اهلها جنوب الحمى عيناك تبتدران ؟

فقال ليس في هذا ما يدل عَلَى انه ملك . فانه يجوز ان يقول هذا سوقي أو حضري فكأنه يوبخ نفسه عَلَى التعلق بأعرابية

ثم لما عجز القوم عن الاتيان بالبيت المطلوب قال المأمون

— ان الشعر الذي يدل عَلَى ان قائله ملك هو قول الوليد بن يزيد

اسقني من سلاف ريقة سلمى واسقِ هذا النديم كاساً عقارا

أما ترون اشارته وقوله « هذا النديم » فانها اشارة ملك .

. . . . .

قيل للمتنبي بعد ان تأبّ

— عَلَى من تنبأت ؟ فقال

— عَلَى السفلة . فقيل له

— ان لكل نبي معجزة فما معجزتك ؟ فقال

— قولي

ومن نكد الدنيا عَلَى الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

. . . . .

الناس عادة يذكرون اعداءهم وينسون اصدقاءهم

قيل لاياس بن معاوية المشهور بالفراسة والاجوبة البديعة — ان فيك عيوباً هي دمامة شكلك واعجابك بما تقول وعجلة بالحكم · فقال — اما الدمامة فليس امرها الي بل الى من خلقني · واما الاعجاب بالقول أفليس يعجبكم ما اقول ؟ فقالوا — نعم

قال — فانا أحق بالاعجاب بقولي · واما العجلة بالحكم فكم هذه ومدّ أصابع يده ·

فقالوا — خمس ·

فقال — أعجلتم بالجواب ولم تعدوها اصبعاً اصبعاً ·

فقالوا — كيف نعد ما نعلمه ·

فقال — وانا كيف اوءخر حكم ما اعلمه

· · · · · ·

قال بعض ظرفاء العرب — عجبت لمن يشرب الراح ويتنقل بالتفاح وينادم الملاح كيف يموت